الحضارتان الوهرانية والقفصية في المغرب القديم

أ.د. محمد بيومي مهران •

تقديم :

يقسم "ماك برني " العصر الحجري القديم الأعلى إلي أربعة مراحل متعاقبة[1]،ففي أوله تسود المنطقة الشرقية – الجبل الأخضر – صناعات تنسب إلي "كهف حجفة الضبع " (حكفت الضبعة " يعزي قدومها من الشرق ، ثم يلي ذلك النطاق ،منطقة صناعات شظايا ،تمثل الأطوار النهائية من "اللفلوازية" ،وإن حلت محلها بعد ذلك صناعات "حكفت الضبعة " التي يصل تأثيرها إلي تونس ،وشرق الجزائر.

وهناك مرحلة ثالثة – يفترض لها " ماك برني " (الفترة 10.000 – 9.000 ق.م) – تسود فيها الصناعات الوهرانية ومنطقة الساحل الليبي حتى برقة ،وربما مصر السفلي ،وفي المرحلة الرابعة – والتي يفترض لها "ماك برني" الفترة (9.000 – 5.000 ق.م) تأخذ "الحضارة القفصية " في الازدهار والانتشار " لتشمل كل الشمال الأفريقي ،وتحل محل " الوهرانية "وإن كانت القفصية تتطور في "سرت"[2] إلي نوع من الصناعات القزمية المتميزة (microlithic) يمكن أن نسميها " الميكروليثية السرتية " .

هذا وتتمثل حضارة العصر الحجري القديم الأعلى في حضارتين الواحدة :الحضارة الوهرانية (الحضارة الإيبرو- مغربية)[3] والأخرى الحضارة القفصية ،وقد توصل إنسان هذه المرحلة –والتي تمثلت في عدد من المواقع الأثرية المنتشرة فيما بين منطقة الجبل الأخضر في ليبيا وحتى ساحل المحيط الأطلسي – إلي صنع أسلحة حجرية دقيقة عرفت باسم "الأدوات الميكروليثية " الأمر الذي يدل علي خبرة دقيقة بالصناعات الحجرية[4].هذا ويذهب أستاذنا الدكتور الناضوري[5] – طيب الله ثراه – إلي أن هناك عدداً من المواقع الأثرية التي تمثل الانتقال الحضاري من العصر الحجري القديم الأوسط إلي العصر الحجري القديم الأعلى ،ذلك لأن هذه النقلة إنما كانت في مواقع أثرية رئيسية ثلاثة ،في منطقة الجبل الأخضر الليبية تمثل منطقة كانت

• أستاذ آثار مصر القديمة والشرق الأدني – كلية الآداب – جامعة الإسكندرية .

[1] - قارن تقسيمات أخرى : تذهب إلي تقسيمها إلي ثلاث مراحل : الأولي وهي المرحلة السابقة علي القفصية ،وأما المرحلتان الأخريان : فهما متزامنتان ومعاصرتان للحضارة القفصية .

[2] - سرت: أو سرته : هي قسنطينة الحالية في شرق الجزائر ،وكانت عاصمة نوميديا الشرقية وكان أهلها النوميديون هم سكان المغرب القديم ،أثناء حكم القرطاجيين في شمالي أفريقيا .هذا وتطورت القفصية في سرته إلي نوع من الصناعات (القزميه)microlithic ويمكن تسميتها " الميكروليثية السرتيه " وقد عرفت سرته أيام الرومان كمركزهام لشحن الحبوب إلي روما ،وقد خربت عام 311 ق.م في حرب أهلية ،ثم أعاد بنائها "قسنطين الأول " (311-337 م) ،ثم استولي عليها الفرنسيون عام 1837 م ،ثم تحررت علي أيام الثورة الليبية الحالية .

(حسن الشريف : تقييم مقارن لمواقع حضارات عصور ما قبل التاريخ – مجلة البحوث التاريخية – العدد الثاني – طرابلس 1986 – ص241 – 242 . محمد بيومي مهران : المدن الكبري في مصر والشرق الأدني القديم – الجزء الثاني – الشرق الأدني القديم – الإسكندرية 2000، ص 392 .

[3] - الإيبرو-مغربية : مصطلح أطلق علي حضارة موقع مويلح (وهران الجزائر) علي أساس وجود صلة تربط حضارة النصال في أسبانيا ،والوهرانية في شمال أفريقيا ،غير أن الأبحاث أثبتت عدم وجود هذه الصلة ،هذا فضلاً عن أن البعض عرب المصطلح (Iberoumdurisien) إلي "إيبرو-موريتانيا " ،وهذا خطأ لأن موريتانيا إسم أطلقه الرومان علي مملكتي : موريتانيا القيصيرية في غرب الجزائر ،وعاصمتها شرشال ،وموريتانيا الطنجية في المغرب الأقصى ،وعاصمتها " طنجة " ،هذا فضلاً عن أن الملاحة ،عبر جبل طارق ، لم تبدأ حتى عام 4000 ق.م (أنظر : محمد بيومي مهران : المغرب القديم – الإسكندرية 1990 م ص 16.

[4] - رشيد الناضوري : المغرب الكبير 75/1 –82 (الإسكندرية 1966 م) .

[5] - نفس المرجع السابق : ص 106- 108 .

تدريجية ،شأنها في ذلك شأن غيرها من مراحل الانتقال .وعلي أية حال :فأول مناطق الانتقال الحضاري هذه ،إنما كان كهف "حجفة الطيرة" (حكفت الطيرة)[6] وتقع علي مبعدة 24 كيلا من مدينة "بني غازي" عند تقابل الصحراء مع الوادي الساحلي ،حيث عثر علي آثار مرحلة الانتقال في أرضية الكهف ،فضلاً عن الصناعات النصلية ،وخاصة الأسلحة الميكروليثية،والأزاميل الدقيقة .

وثانيهما : كهف "حجفة الضبعة " في "برقة" حيث عثر علي أسلحة كثيرة مختلفة الأحجام ،مما يؤكد اعتبارها منطقة انتقال حضاري ،ذلك لأن التوصل إلي صناعة حجرية جديدة ، لا يعني أبداً الانقطاع الفجائي عن التقاليد الحضارية السابقة ، وإنما كان المفروض منطقياً أن يسير التقليدان جنباً إلي جنب حتى يحل الجديد محل القديم .

وثالثهما: "كهف هوافتيح" [7] والذي تعتبر طبقاته الأثرية بمثابة سجل حي لتاريخ الإنسان في هذه المرحلة ، وما تلاها حتى العصر التاريخي، حيث عثر علي كميات كبيرة من الأسلحة الحجرية المشابهة لصناعة حجفة الطير ، ولنتحدث الآن عن الحضارتين : الوهرانية والقفصية .

6- يقع مثلث العاترية أيضاً في هذا الكهف ،وقد بحث فيه الإيطالي (Petroochi) عام 1941 م وكذلك (ماك برني) في عام 1948 م (mc Burney ,op – cit , p . 192) .

[7] - كهف هوافتيح (Haua fteah) كشفت عنه بعثة كمبردج فيما بين عامي 1951، 1955 م ، علي مقربة من سوسة في ليبيا - إلي الشرق قليلاً من مرسي سوسة وهي "أبولونا القديمة " بمنطقة الجبل الأخضر ، وأرخ له " كربون 14 " فيما بين 9000 ،7000 سنة قبل الميلاد ، ويعد هذا الكهف من أكبر وأوسع كهوف عصور ما قبل التاريخ ، وربما في كل حوض البحر المتوسط ، وهو نصف دائري ، وقطره 80 متراً ، ويبعد عن ساحل البحر ببضعة مئات من الأمتار ، وفي سطحه آثار من عهد الاستيطان الإغريقي (القرن 7 ق.م)، ثم آثار الليبيين القدامى ،ثم أدوات من العصر الحجري الحديث ، ومع أن عمق الحفريات وصل إلي 13.50، غير أن عمق الترسيبات غير معروف (انظر : محمد بيومي مهران : المدن الكبرى في مصر والشرق الأدنى القديم 402/2 - 408

- C.B .M m c Burney , The Hawa Fteath (Cyrenatca) and the Stone Age of the south – East mediterranedn , comlrdge, 1967.

أولا : الحضارة الوهرانية

تنسب هذه الحضارة إلي مدينة "وهران "[8] الجزائرية ، وقد كشف عنها "بول بالاري" (PAUL PALLARY) في عام 1899م في " وادي مويلح " علي مقربة من مدينة مغنية في غرب الجزائر ، وقد أطلق علي هذه الحضارة اسم " إيبرو ـ مغربية " ، اعتقادا منه أن هناك صلة تربطها بحضارة العصر الحجري القديم الأعلى في شرق أسبانيا ، وإن أثبتت المقارنة بين المواقع المختلفة عدم وجود هذه العلاقة ، ومن ثم فقد أطلق عليها "فوفري" اسم " الحضارة الوهرانية "[9] .

غير أن موقع "مويلح " إنما كان متوسط الأهمية ، وأقل شأنا من موقع " أفلوبوريمال" بين " جيجل " و " بجاية " في شرق الجزائر ، هذا فضلاً عن انتشار مصطلح " إيبرو ـ مغربية " في الأبحاث الأثرية ، الأمر الذي أدي إلي الإبقاء علي هذا المصطلح رغم عدم دقته. وعلي أية حال ، فالحضارة الوهرانية : حضارة ساحلية ، وصناعتها غير دقيقة ، ومن مادة رديئة ، بل ويعدها الباحثون من أفقر صناعات عصور ما قبل التاريخ ، ويقسمونها إلي ثلاثة مراحل : الأولي: وهي سابقة للحضارة القفصية ، وتوجد في موقع واحد قرب مدينة" قفصة" في تونس، حيث الأدوات الكبيرة ، وعدم وجود أدوات ميكروليثية ، ثم نتجه شمالاً إلي موقع " سيدي منصور " في تونس أيضاً حيث وجدت الأزاميل القزمية . وكانت المرحلتان الثانية والثالثة معاصرة لها وإن تميزت المرحلة الثانية بالأدوات الميكروليثية فضلاً عن تلك التي صنعت من عظم ، وقد وجدت في مواقع عميقة في المغرب الأقصى مثل كهف الخنزيرة ، و دار السلطان، " ومغارة تافورالت " [10] .

هذا وقد وجدت المرحلة الثالثة في "مغارة كلوفاتا " في الجزائر ، وقد تميزت بأدواتها الميكروليثية وأنها تمثل " أوج الحضارة الإيبرو ـ مغربية " [11] . وقد اختلف الباحثون في تحديد مكان هذه الحضارة الوهرانية من سلم التطور الحضاري في هذا العصر ، فهنا من يراها متأخرة جداً من الناحية الزمنية ـ أي أنها معاصرة للمرحلة الأخيرة من الحضارة القفصية ـ ومن يراها ذات أسبقية في الصناعة النصلية ، علي أساس أن بعض المواقع الأثرية في نواحي مدينة الدار البيضاء ، إنما تحوي خليطاً من الآثار الوهرانية ، ومن ثم فإن لهذه الحضارة الوهرانية أولوية في الصناعة في المغرب.

علي أن هناك وجهاً ثالثاً للنظر يذهب أصحابه إلي وجود صلات حضارية بين " حضارة كهف هوافتيح في برقة والحضارة الوهرانية في الجزائر ، هناك وجه رابع للنظر يذهب أصحابه إلي الاعتقاد في وجود صلات حضارية بين المواقع الساحلية الأسبانية ، والمواقع الوهرانية المغربية، وإن اختلفت آراء أصحاب هذا الاتجاه في أيهما المصدر الأصلي لهذه الحضارة ؟ هل هو الجانب المغربي أم الجانب الأوربي ؟[12]

---

[8] ـ وهران : ميناء علي البحر المتوسط ، في شرق الجزائر ، أسسها التجار من عرب الأندلس في القرن العاشر الميلادي ، وقد تداولها (في القرن 16- 18) الأسبان والأتراك ، ثم احتلها الفرنسيون في عام 1831 ، وحتى تم تحريرها في عام 1964 ، وكانت في تلك الفترة أهم القواعد البحرية الفرنسية في شمال أفريقيا ، كما أنها قاعدة مقاطعة وهران (الموسوعة العربية ص 1969) .

[9] ـ قارن : رشيد الناضوري : المرجع السابق ص 116- 117 .

[10] ـ دار السلطان : هي مغارة تقع علي مبعدة 6 كيلو ، جنوب غرب الرباط ، وتتكون من بقايا مواقد نيوليتية ذات تقليد قفصي ، ثم مجموعة من النصال و المحكات وفخاره أكثر تطوراً من فخار رديف ، وزخرفته جد متفوقة ، وقد عثر فيه وفي المغارات والكهوف الساحلية المواجهة للمحيط الأطلسي علي عدد من البقايا العظمية الإنسانية فقد كانت تلك الكهوف والمغارات مأوي في تلك المناطق منذ عصور ما قبل التاريخ (محمد بيومي مهران : المرجع السابق ص 62 .

[11] - R. Vaufrey, Prehistore de l'Afrique , I, Le maghreb EL messon Paris , 1955 , p . 88-89.
L.Balout rehistoire de l' Afrique du nord , paris 1955 , p . 304

[12] ـرشيد الناضوري : المرجع السابق ص 115 - 117.

وأياً ما كان الأمر فإن الحضارة الوهرانية ، إنما قد انتشرت في تونس والجزائر والمغرب وإن اختلفت مواقعها من الساحل ـ قرباً أو بعداً ـ ففي تونس : وجدت مواقع : أكاريت ، وأدواته مطابقة لأدوات " كحفت الطير " في ليبيا ، و" أوشتاتا" وقد كشف عن هذا الموقع في عام 1952م، ويعتبره البعض من أقدم مواقع الحضارة الوهرانية في الشمال الأفريقي ، وفي " قلعة الصنم " علي الحدود بين تونس والجزائر [13].

وكانت مواقع الحضارة الوهرانية في الجزائر مواقع ساحلية تمتد من " عنابة " (بونة الصريحة شمال شرق الجزائر) وحتى أقصي الغرب الجزائري ، وقد وجدت في عنابة وسوق وهران وبجاية وأما في الوسط الجزائري ، فتبعد المواقع عن الساحل ، ويتمثل ذلك في اختراق إنسان " مشتا العربي " [14] (حامل الإبيرو ـ مغربية) للهضاب العليا ، كما في موقع " الهامل " ـ علي مبعدة 250 كليلاً من الساحل ، وتشير القواقع البحرية في هذه المواقع علي اتصال بالمواقع الساحلية . ولعل من الأهمية بمكان الإشارة إلي أن موقع " أفلوبوريمال" (Aflu Bou Rhummel) علي مقربة من بجاية في الجزائر ـ إنما يعد من أكثر المواقع أهمية لهذه الحضارة فلقد عثر " أرمبورج " في حفائر عام 1928 ، علي حوالي 60 هيكلاً عظمياً ، فضلاً عن مجموعة من الآلات الحجرية وغيرها .

وهناك موقع " كولوماناتا " علي مبعدة 20 كيلو شمال تيارية ، 120 كيلاً من الساحل ـ وقد قدم لنا تتابعاً طبقاً لثلاث مستويات حضارية من أسفل إلي أعلى (وهرانية ، ثم قفصية عليا ، ثم عصر حجري حديث) ، هذا فضلاً عن أن صناعته ذات سمة وسطي ، لتحول نحو القفصية، وقد أطلق عليها " الكلوماناتية " . ولعل من الجدير بالإشارة أن الحضارة في هذه المرحلة (من حضارة العصر الحجري القديم الأعلى) إنما تتميز بوضوح الجانب الفكري بشكل عام ، وتشير النقوش والرسوم التي تركها لنا إنسان هذه المرحلة علي جدران الكهوف والأرصفة الصخرية، إلي حاجته إلي التعبير الذي بدأ يزداد نمواً حتى وصل آخر الأمر إلي قدرته علي التعبير بالكتابة، فضلاً عن الإشارة إلي درجة في التصوير والتعبير، ربما لم يصل إليها حتى نهاية عصور ما قبل التاريخ .

وعلي أية حال فلقد أفادتنا هذه الرسوم وتلك النقوش في معرفة طرق المعيشة والملابس ووسائل الصيد وأدواته ، لإنسان هذا العصر ، فضلاً عن الظروف المناخية والنباتية وقت ذاك ، ودور إنسان هذا العصر في الإسهام الفني في المغرب ، والذي سوف يمتد علي نطاق واسع في مرحلة العصر الحجري الحديث ، وأخيراً فهناك ما يشير إلي ممارسة أعمال أولية في النحت . بقيت الإشارة إلي عادة "تقطيع العظام البشرية " في مرحلة القفصية العليا ، ففي " مشتا العرب" عثر علي غطاء جمجمة كان قد نشر وثقب وصقل وفي " كولوماناتا" (Columnata)في غرب الجزائر ، عثر علي فك سفلي ، نشر كذلك ، وخضب بالمغرة ، ربما لأن هذه العظام كانت

---

[13] - L.Balout , op – cit , p. 375 – 377

[14] - مشتا العربي : كان مشتا العربي سكناً لأقوام طوال القامة (172 سم في المتوسط) وكانوا مستطيلي الرؤوس ولهم جبهة ضيقة وشفاة طويلة وربما كانوا أول من اتخذ المغرب موطناً ، وكانوا يمارسون عادة خلع الأسنان القاطعة ، ثم بدأ يظهر تحول نحو قصر الرأس ونحافة الجسم، في مناطق معينة أظهرها " "كولوماناتا " (Columnata في غرب الجزائر ، وذلك حوالي عام 6000 ق. م . وهناك من يذهب إلي أن القوم من أصل غربي ، لوجود شبه بينهم وبين " إنسان كرومانيون " و " إنسان جزر كناريا " غير أن البعض إنما يري أن ذلك أمراً بعيد الاحتمال ، لان "الجوانشيين" (Guanches) رغم أنهم متشابهون " أنثروبولوجيا " لرجال " مشتا العربي" غير أنهم يختلفون عنهم في الحرف والصناعات والعادات ، فضلاً عن أن الحضارة= =الوهرانية لم تأت من أوربا لأنها ظهرت قبل بداية الملاحة عبر المضايق (حوالي الألف الرابع قبل الميلاد) ومن وإلي صقلية ، وهناك ما يحمل علي الظن بأن أصولها شرقية وربما أتت من شمال سودان وادي النيل ، ومن ثم فماداموا قد أتوا تحت ضغط من الشعوب المهاجرة فلا ريب أن " الإيبريين ـ الموريتانيين " قد اتخذوا ملاجئ في التلال ، ويمكن أن يعتبروا أحد العناصر الأنثروبولوجية لسكان الجبال (جيهان ديزانج: تاريخ أفريقيا العام ـ اليونسكو 1985 ص 831- 832 .

M.C. Chamla , les hommes epipaleolitheques de Columnata, (Algerie Occidentale) mem . C.A.P.E, x v , 1970 , p . 113 – 114 .

- انظر محمد بيومي مهران : المدن الكبرى 2/ 411 – 412 (الإسكندرية 1999).

تستعمل كتعاويذ ، وربما بغية استلهام بعض أصحاب هذه العظام [15] هذا وقد بدأت الثقافة "الإيبرية الموريتانية " ـ بالمعني الدقيق للكلمة ـ في الاختفاء في نهاية الألف التاسعة قبل الميلاد ، ولم يحدث فجأة في كل مكان ، ومع ذلك فقد حلت محلها الثقافة القفصية في "قورينائية"[16] (Cyrenacia) (إقليم برقة) ولكن استسلامها أمام الثقافات المحلية في الجزائر الغربية ومراكش ، إنما كان مشوباً بالتردد ولا يوجد دليل علي وجودها في السواحل الشمالية لتونس ، أو في الجزر الساحلية الصغيرة ، وإنما تركت آثاراً قليلة في " منطقة طنجة " وإنه لأمر بعيد الاحتمال جداً ، أن تكون قد وصلت إلي " جزر كناري " ـ كما هو الشائع ـ ذلك لأن " الجوانشيين " (Guanches) رغم أنهم مشابهون " أنثروبولوجياً" لرجال مشتا الغربي ، فإنهم لا يماثلونهم في الحرف الصناعية والعادات.

ومن الجدير بالإشارة ، أن هذه الثقافة لم تأت من أوربا ، وذلك لأنها قامت قبل بداية الملاحة عبر المضايق ، ومن وإلي صقلية ، وهناك ما يحمل علي الظن بأن أصولها إنما كانت أصولاً شرقية ، وربما أتت من " شمال سودان وادي النيل " ومن ثم فمادام أصحابها قد أتوا تحت ضغط من الشعوب المهاجرة فلا ريب في أن " الإيبريين ـ الموريتانيين " (الإيبرو ـ مغربيين) اتخذوا ملاجئ في التلال ، ويمكن اعتبارهم أحد العناصر الأنثروبولوجية لسكان الجبال [17]. ولعل من الأهمية بمكان الإشارة إلي وجود صلات حضارية بين شرق البحر المتوسط ـ وخاصة فلسطين ـ وعلي الأخص مدينة " أريحا " [18] ، وبين المواقع الليبية في "حكفت الطيرة" و" حكفت الضبعة "

---

[15] ـ محمد بيومي : المغرب القديم ـ الإسكندرية 1990 م . ص 19ـ 21 .، حسن الشريف : دراسة تاريخية لحضارة المغرب القديم أثناء العصر الحجري الحديث ـ الإسكندرية 1975 ص 78 ـ 83 .

- H. Camps- Falrer , matiere et Art molilier dans la prehistoire nord – Africaine, Saharienne, mem . CRAPE , PARIS, 1966 ,P.206, 243.

[16] ـ أنظر (محمد بيومي مهران : المدن الكبري في مصر والشرق الأدني القديم 2/ 401ـ 402) حيث أقام الدوريون في عام 630 ق.م مستعمرة " قورينة " بشمال أفريقيا فضلاً عن الإضرار بالمصالح المصرية ، وربما بتجارة اليونانيين ، مما دعا إلي تدخل الفرعون "واح إيب رع " (أبريس 595 -589 ق.م)وإن فشلت حملته وقتل عند "مومفيس " (كوم الحصن ، مركز كوم حمادة ـ بحيرة) أو علي مقربة من " الطرانة " (سخت مافكا) (أنظر : محمد بيومي مهران : مصر 3/ 656- 658.

–A.H. Gardiner , Egypt of the pharaohs, p 361- 362 .

–A.A Cook , CAH, III, 1969 , P. 401.

-Herodotus , II, 169.

[17] ـ جيهان ديزانج : البربر الأصليون ـ كتاب تاريخ أفريقيا العام ص 432 (تورينو1985)

-L. Balout, op – cit , p. 23.

[18] ـ أريحا (جريكو = j erico) ومعناها " مدينة القمر " أو " مكان الروائح العطرية " وهي مدينة هامة تقع علي مبعدة 8 كيلاً غربي نهر الأردن ، 27 كيلاً شمال شرق القدس ، أما " أريحا " التي جاء ذكرها في التوراة ، فمكانها " تل السلطان " علي مبعدة ميل واحد من مدينة " أريحا " الحديثة ، وقد أثبتت الحفريات التي أجريت في " تل السلطان " أن " أريحا " واحدة من أقدم مدن العالم ، وقد اكتشف فيها فخار من أقدم فخار العالم ، فضلاً عن آثار الحضارة النطوفية ، عصوره متصلة حضارياً ، تؤكد الانتقال الفعلي نحو مرحلة الاستقرار وانتاج الطعام (أي مرحلة ما قبل النيوليتية) كما عثر علي آثار مرحلة العصر الحجري الحديث الصميم ، ابتداءً من الطبقة التاسعة . وكان أول من قام بالحفر في " أريحا" "إرنست سيللين "و " كارل فنرنجر" في الفترة (1907 ـ 1909 م) ثم " جون جارستانج " في الفترة (1930 ـ 1936 م) ثم " مس كاثلين كنيون " منذ عام 1952 . انظر : محمد بيومي مهران : بنو إسرائيل 2/ 605 ، ورشيد الناضوري : جنوب غربي آسيا وشمال أفريقيا 1/ 117 ـ 119 ، 240 ، قاموس الكتاب المقدس 1/ 59 .

E . Sellin and C. Watzinger, Jericho , 1913 .

- J And B.E. Garstang , THE Story of Jericho, 1940 .

K. M. Kenyon , Archaeology In THE Holy Land, London , 1970 , P. 13- 43

- K . M . Kenyon , In PEQ , 1992 , P . 62 – 82 , 1953 , P . 18 – 95 ,1954, P . 45 – 63 , 1955 , P. 108 . 117 , 1956 , P. 67 – 82 , Scientifis American , 90 , 1954, p. 76 – 82.

و " كهف هوا فتيح " أثناء العصر الحجري القديم الأعلى ، وإن هذه التأثيرات أو الصلات ، إنما قد تمت عن طريق" دلتا النيل " .
غير أنه لم يعثر علي آثار هذه الحضارة في المنطقة ، فيما بين دلتا النيل وخليج سرت في ليبيا ، وفي نفس الوقت وجدت في هذه المنطقة أدوات " الحضارة العاترية " [19] واستمرت حتى العصر

---

[19] ـ الحضارة العاترية : موضع حضاري في وادي جبانة قريباً من قسطنطينية في الجزائر ، علي الحدود بين تونس والجزائر وكان "فريدريك مورو " أول من أشار إلي " الصناعة العاترية (العاطرية) في عام 1888 م وذلك عندما التقط "أدوات مذنبة " في "وادي سليحة " (جنوب غرب قفصة) وإن كان "كرير" قد سبقه إلي ذلك ،عندما نشر عام 1886 م عن مواقع ما قبل التاريخ في وهران ووصفها بأنها "موستيرية " هذا مع أن الحضارة العاترية – رغم تشابهها مع الحضارة الموسيترية في كثير من الوجوه – إنما تختص بالأدوات المذنبة.

A.Balout , prehistore de L, Afrique du nord , Arts et metiers Graphiques , paris,1955,P.269.

وفي عام 1919 م نشر " ريجاس" =

= m. Reggasse , Etudes de Palethnologie maghreline (nouvelle serie) , L , Anthropologie, 25, 1919-1920 .

دراسة عن التقنيات الحجرية القديمة في شمال أفريقيا" كما أشار إلي اكتشاف الموقع الموستيري النموذجي (اللأوبيرة) ، ثم اكتشف " بئر العاتر " وعثر فيه علي الصناعة العاترية ـ تحت عمق ثلاثة أمتار في نفس الطبقة ـ مع الصناعة الموستيرية ، ونذ ذلك التاريخ دأب "ريجاس " علي علي استخدام " مصطلح العاترية " بدلاً من " الأبيرة " ثم أقر " مؤتمر مونبليه " عام 1929 م هذا المصطلح ، ويعني " التقنيات الموستيرية ذات الأدوات المذنبة " ـ أم الخير العضون : العلاقات الحضارية والسياسية بين مصر وشمال أفريقيا منذ أقدم العصور حتى نهاية الألف الثاني قبل الميلاد _الإسكندرية 1988 ص 7 . هذا وقد وجدت " العاترية " بمظهرها الصميم في كثير من المواقع والطبقات الأثرية في جميع أنحاء المغرب ، فوجدت في الرسومات السطحية لوادي جبانة ، ووادي جوف الجمل وكاف الأحمر ، ووادي سرديس ، وفي رمال جبل عواش ، وفي عقلة شعاشع ، وفي كل رسومات مقاطعة قسطنطينة ، وفي رواسب الرمل الأحمر ، علي طول الساحل الجزائري في كارمية وضواحي بنزرت وغيرها . وفي كهوف المملكة المغربية في الخنزيرة وفي الرواسب السطحية لوادي جوربا ، وكهوف دار السلطان وتافورال وبيت مليل والحنك R.Vaufrey, Op-cit , p. 106. وفي هذا العصر ربما استعمل الإنسان ـ بجانب الحجر _ الأخشاب والجلود والعظام وبيض النعام أو قشوره، كما بدأ يدرك حقيقة وجود قوي خفية تتحكم في حياة الإنسان والحيوان والنبات والطبيعة ، بل وحاول تجسيم هذه القوي في أماكن معينة لكي يحاول استرضاءها ضماناً لحياته ومصيره رشيد الناضوري: المرجع السابق، ص 105 . هذا وتذهب " كاتون طومسون " إلي أن موقع " الخنزيرة " (طبقة أ) في المغرب الأقصى ، إنما يمثل أقدم مرحلة للعاترية في الشمال الأفريقي

G. Caton – Thompson, The Aterian Industry, Its Palce and Signitidnce In the Paleolithic world , in JRAI, V , 1946, P.115 ثم انتشرت جنوب الأطلسي الصحراوي في العصر العاتري الوسيط ، ثم إلي الشرق حيث وجدت بعض المواقع العاترية في ليبيا ـ كما في وادي ماصودا ، ووادي درنة اللذين اكتشفهما " ماك برني " في عام 1949 ، ووصفهما باللفلوازية الموستيرية ـ ومن ثم فقد أصبحت منطقة الجبل الأخضر في ليبيا ، بمثابة جسر انتقال الحضارة العاترية من الشرق إلي الغرب أو العكس . وتذهب " كاتون طومسون " إلي أن العاترية سرعان ما انتقلت إلي الواحات المصرية _ سيوة والداخلة والخارجة (1) انظر عن هذه الواحات (محمد بيومي مهران : المدن الكبري في مصر والشرق الأدني القديم 1/ 207 -212) . حوالي العصر الحجري القديم الأعلى المبكر -محمد بيومي مهران : مصر 1/ 127 - 132 . بدليل وجودها في واحة الخارجة فوق طبقة اللفلوازية مباشرة

G.Caton- Thompson and E.W.Gardiner, Kharga Oassis In Prehistory, London ,1952, P.31.
ويذهب أستاذنا الدكتور أحمد فخري ـ طيب الله ثراه ـ إلي أن " ستون كان " و " كومنجتون "إنما قد عثرا في " واحة سيوة " علي بعض الأدوات التي نسباها إلي تأثيرات غربية (شمال أفريقيا) ووصلت مصر ، أثناء العصر الحجري القديم الأعلى ـ محمد بيومي مهران : مصر 1/ 127 ـ 132 . وعلي أية حال ، فهناك من يذهب إلي أن الصناعة العاترية (العاطرية) إنما قد وصلت مصر في العصر الحجري القديم الأوسط نفس المرجع السابق : ص 123 ـ 126 . ولعل أهم مواقعها إنما كانت تلك التي كشف عنها " ساندفورد " في محافظة قنا (في نقادة انظر عن " حضارة نقادة محمد بيومي مهران : مصر 1/ 180 ـ 188 ، 193 ـ 194 " وفيما بين دندرة

الحجري الحديث بدون انقطاع ، ومن ثم فقد بدأ العلماء في البحث عن طريق آخر لمرور هذه الحضارة من غربي آسيا إلي ليبيا .
هذا وقد أصدر " فيلب جيمس " في عام 1983 م دراسة عن 27 موقعاً أثرياً في المنطقة فيما بين أسوان والأقصر[20] ، وتنتمي جميعها إلي العصر الحجري القديم الأعلى وكان من بينها موقعان يقعان علي مبعد 8 كيلاً شمال غرب آسيا [21] (ربما غرب مدينة " حسفنت القديمة")[22] (

انظر عن دندرة " محمد بيومي مهران : المدن الكبري في مصر والشرق الأدني القديم 1/ 77-79 ." والمراشدة فضلاً عن تلك التي علي مقربة من نجع حمادي ، إلي جانب ما كشف عنه " سيلجمان " في ضواحي الأقصر)
انظر عن الأقصر (طيبة) " محمد بيومي مهران : المرجع السابق ص 70 - 72 . وفي محافظة سوهاج في العرابة المدفونة ، علي مبعدة 10 كيلاً من البلينا ، كما وجدت في أسيوط
. هذا وقد كشف " كاتون طومسون " عن وفرة من الصناعات العاطرية في واحة الخارجة.
G.Caton- Thompson and E.W.Gardiner, In Gl, LXXX , 1932, P. 404.
بل أن هناك ما يشير إلي وصول النماذج العاطرية ، التي وجدت في مصر ، إلي المملكة العربية السعودية.
R.M. Gramly, In JNES, 30 , 1971, P. 177 –185. – G.Caton- Thompson , in JRAI , 1946 , P. 89 .

[20] - أسوان : كانت أسوان عاصمة الأقليم الأول من أقاليم الصعيد ، ويدعي "تاستي" بمعني " أرض الإلهة ساتت " انظر : محمد بيومي مهران : المدن الكبري في مصر والشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول = =مصر،ص 57 -63 . معبودة جزيرة سهيل ، وكانت عاصمة الإقليم حتي الأسرة السادسة والعشرين (664- 525 ق. م) هي "آبو" أو " يب" وأطلق عليها الأغارقة اسم "إليفانتين " (اليفنتين - اليفانتينا) ربما لأنها كانت مركز تجارة العاج ، وربما لأن الفيلة كانت تستقر فيها في عصور ما قبل الأسرات . هذا وقد انتقلت العاصمة من " آبو " - وهي جزيرة أسوان الحالية - إلي أسوان في العصر الصاوي ، وكانت أسوان تدعي منذ الأسرة العشرين (1184 - 1087 ق .م) " سونو" في المصرية بمعني " السوق " ثم " سويني " (سييني) في الإغريقية و" سوان " و"سويان" في القبطية ثم " أسوان " في العربية . ويشير اسم أسوان بمعني السوق إلي دورها في التجارة بين مصر والنوبة والسودان ، هذا ونظراً لتحكم جزيرة "يب " وأسوان في مدخل مصر الجنوبي ، فقد أقيمت في كل منها قلعة ومن ثم فإن البرديات الآرامية من القرن الخامس ق. م إنما تتحدث عن " يب القلعة " و" سونو " القلعة ، غير أن أسوان بدأت تفقد مركزها كمدينة حدود في الدولة الحديثة (1575- 1087 ق.م) عندما قسمت النوبة علي أيام الرعامسة إلي قسمين إداريين ، الأول : النوبة السفلي وعاصمتها " عينبة" (ميعام) - علي مبعدة 250 كيلاً جنوبي خزان أسوان والثاني : النوبة العليا وعاصمتها "عمارة غرب " علي مبعدة 115 كيلاً جنوبي وادي حلفا ، 455 كيلاً جنوبي أسوان ومن المعروف أن الثورة المصرية الكبري (410- 404 ق.م) التي قامت ضد الفرس من أسوان وانتهت بتدمير معبد الجالية اليهودية تماماً ، ثم سرعان ما امتدت إلي الدلتا ، ثم إلي كل أنحاء البلاد ، ولمدة ست سنوات كانت فيها نضالاً سافراً عنيفاً بين مصر وفارس ، وانتهت بتحرير البلاد من ربقة الاستعمار الفارسي ، وقيام الأسرة المصرية الثامنة والعشرين (404 - 399 ق. م). محمد بيومي مهران : مصر 1/ 201- 202 ، 2/ 242-249 ، 3/ 681 – 682 .
- A.E . Cowley , Aramaic Papyri of the fifth Century B.C. ,Oxford, 1923.
- H.Kees, Ancient Egypt, London. 1961. P.308- 330 .
- P.Lacau et Hcheurier, une Chapelle de Sesostris IER a karnak,1956, p.220-21.
- A.H. Gardiner, Onom., II, p.1-6.

[21] - إسنا : - تمثل إسنا آخر مراكز محافظة قنا جنوباً ، وتقع علي مبعدة 50 كيلاً شمال إدفو ، و55 كيلاً جنوب الأقصر وقد عرفت بالاسم الديني " بر - خنوم " (بيت المعبود خنوم) ، كما سمي معبدها " حوت خنوم " (مقر خنوم) ، وأما اسمها المصري فهو " إيونيت " كما سميت " تا سني " أو " سني " هذا وسميت في العصر اليوناني " لاتوبوليس " وهو نوع من السمك كان يرمز به للمعبودة " نين " التي كانت تعبد في المدينة وكان ذلك السمك مقدساً ، وأما أهم معبودات المدينة فهو " خنوم" وزوجتاه " نب - ورت " و " منخيت " . وكانت إسنا مدينة هامة في عهد الدولة الحديثة ، حيث شيد ملوكها معبداً للإله خنوم في الأسرة الثامنة عشرة (1575 - 1308 ق . م) تهدم مع الزمن ، قد عثر علي خرطوش يحمل اسم الملك " تحوتمس الثالث " (1490 - 1436ق .م)، ثم قام ملوك الأسرة السادسة والعشرين (664 - 525 ق.م) بترميمه ثم أعيد تشييده في عهد بطليموس السادس (180- 145 ق.م) حيث أصبحت إسنا عاصمة لإقليم "نخن " (البصيلية) - بدلاً من "نخب" (الكاب) التي كانت قد حلت محل "نخن" ومازال هذا المعبد قائماً ، وقد أضيف إليه في العصر الروماني " بهو الأعمدة الضخم " من أيام " كلوديوس " (41-45 م) و"فسباسيان " (69 - 79 م) ، وقد نقشت علي جدران المعبد نصوص دينية هامة ، جعلت لهذا المعبد مكانة خاصة بين الآثار الهامة في مصر ، ويرجع آخر نقش منها إلي عهد الإمبراطور " ديكيوس " في عام 250 م ولم يتم حفر المعبد للآن ، هذا فضلاً عن أن جزءاً كبيراً من إسنا القديمة مايزال تحت منازل المدينة الحالية ، وأما جبانة إسنا الأثرية فتقع شمال غرب المدينة

المطاعنة الحالية) ، وقد عثر فيها علي كميات ضخمة من النصال بلغت في المرقع الأول 10194 ، وفي الثاني 21502 نصلاً ، وأن أحد الموقعين يشبه تشذيب أدوات "أوشتاتا" (Ouchtata) وأن الموقع الثاني (وقد انتقل إليه أصحابه من الموقع الأول) إنما يشبه كثيراً ـ من حيث التقنية والشكل ـ موقع " الهامل " ـ والذي يبعد عن الساحل بحوالي 250 كيلاً ـ وقد خضع الموقعان لعملية التأريخ عن طريق " كربون 14 " المشع [23] ، فأرخ لهما بفترة لا تقل عن 14000 أو 15000 سنة قبل الميلاد ، ومن ثم فهما سابقان لموقعي شمال أفريقيا [24]. وانطلاقاً من كل هذا ، إنما يتفق "فيلب جيمس " مع " بالوه " علي ان التأثير الذي وقع علي شمال أفريقيا ، إنما قدم من الشرق ـ من السواحل الليبية أو من وادي النيل ـ وليس من الصحراء ، وأنه لم يكن مقصوراً علي الأداة فحسب ، وإنما امتد كذلك إلي الملامح الجسمانية ـ خاصة وأن إنسان النوبة وقت ذاك ، إنما كان يشبه رجل مشتا الغربي[25] ـ ومن ثم فإن أصل " الحضارة الإيبرو ـ مغربية "(الوهرانية) من وادي حلفا (السودان)وليس من مصر ، خاصة وقد كشف " فاربردج " فيما بين عامي 1961 ،1962 م علي ستة مواقع ذات أدوات ميكروليثية، ميزتها أنصال ذات القاعدة في منطقة وادي حلفا (340 كيلاً جنوب أسوان) وأطلق عليها " حضارة حلفا " .

هذا وتظهر أهمية هذا الكشف في أمرين ، الواحد : أنه يكشف لنا عن أول صناعة ميكروليثية في أفريقيا، والآخر : أنه تم في هذه المواقع الستة تطور الصناعة من الشظية إلي النصال، و(هي تقنية جديدة) . ولعل من الجدير بالإشارة أن هذه الصناعة ميكروليثية تماماً ومبكرة جداً في أفريقيا ، ولا علاقة لها " بالحضارة السبيلية[26] " (نسبة إلي قرية السبيل في مجاورات كوم أمبو[27] ـ بمحافظة أسوان) وتمثل صناعة نصال قزمية في وادي النيل ، ومبكرة عن باقي مناطق

الحالية بحوالي 4 كيلاً ، وعلي مقربة من " حاجر إسنا " (2) محمد بيومي مهران : مصر 72 ـ 74 . ، المدن الكبرى : 68/1 -69 .

- D.Derchain , the Excavaition at ESANA, 1905- 1906, Warminster, 1947.

- S.Sauneron, Esna, 1-7, 1959-1975.

بقيت الإشارة إلي أهم الأعياد التي جاءت علي معبد إسنا ، هي : عيد رفع السماء ، عيد عجلة الفخراني (إشارة إلي الإله الخالق خنوم) انظر عن "خنوم" (محمد بيومي مهران : الحضارة المصرية القديمة ، 1/ 380 ـ 382) . ، ورحلة الإلهة "نيت"أنظر عن "نيت "(محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص 409 ـ 410) . من سايس ـ سايس : عاصمة الإقليم الخامس من أقاليم الدلتا (نيت محيت) وهي في المصرية " ساو" وفي اليونانية سايس ، وفي العربية صان الحجر ، علي مبعدة 7 كيلاً شمال بسيون غربية ، وكانت عاصمة مصر في العصر الصاوي (664 ت 525ق.م) . صراع رع ضد البشرية (أسطورة هلاك البشرية وإنقاذها) انظر : محمد بيومي مهران : الحضارة المصرية القديمة ـ الآداب والعلوم 43/2- 49 .

[22] ـحسفنت : وهي " أصفون المطاعنة ": سادسة مدن إقليم " نخن" (البصيلية _ الإقليم الرابع) ، وتقع علي مبعدة 11 كيلاً شمال غرب إسنا ، 3 كيلاً شمال غرب "كيمان المطاعنة " وكان اسمها الديني " إمنتي= =حور "(أي موطن الإله حور في الغرب) ، وأما اسمها المدني فهو " حوت سنفرو " (أي قصر الملك سنفرو) وفي أخريات عصر البطالمة (332- 31 ق .م) سميت " إسفنيس" وفي القبطية " حاس فون " (حسفنت حاسي فون) . محمد بيومي مهران : المدن الكبرى ، 1/ 69 .

[23] ـ أنظر عن التقويم بكربون 14 المشع (محمد بيومي مهران : مصر ، 1/ 270 ـ 274) (الإسكندرية 1988) .

- W.F. Liliy, Radiocarbon Dating, Chicago, 1952.

- R.M. Derricourt, Radio Carbon Chronology for Egypt and northern and western Africa , JAH, 14, 1937.

[24] Phillips James, THE Nile Valley final Paleolithic and External Belations university microfilms international , Aim Allor, michign , U.S.A, 1983, P.35, 130,202.

[25]Ibid ., P. 130, 202.

[26] ـ أنظر عن الحضارة السبيلية (محمد بيومي مهران : مصر، 1/ 201- 208).

ـأنظر عن " مشتا العربي " (محمد بيومي مهران : المغرب القديم ـ الإسكندرية ، 1990 ، ص 19 .

[27] ـ كوم أمبو : وتقع علي مبعدة 45 كيلاً شمالي أسوان ، 165 كيلاً جنوب الأقصر ، وهي في المصرية "نبيت " (نبي أونبية) ، وفي القبطية " إنبو" أو " أمبو" وفي اليونانية " أمبوس " ويرجع تاريخ كوم أمبو إلي أيام الدولة الوسطي (2052- 1786ق.م) وإن لم توجد بها آثار سابقة للأسرة الثامنة عشرة (1575- 1308 ق.م) حيث قام" أمنحتب الأول " (1550- 1528 ق.م) بإصلاحات في المعبد القائم هناك منذ زمن سابق ، وفي أثناء

أفريقيا ولقد أرخ لها "كربون 14" بحوالي 7000 سنة قبل الميلاد ، وتمثل النصال فيها نسبة 92.7% من مجموع أدواتها [28] . هذا وقد نزحت هذه الحضارة شمالاً إلي "إسنا" بمحافظة قنا ، وسكن أصحابها في غربي " حسفنت " (المطاعنة الحالية ـ مركز إسنا)
كما وجدت في النوبة المصرية في بلدة " بلانة " [29] (30 كيلاً شمال وادي حلفا) ويؤرخ لموقع بلانة بحوالي 14.000 سنة قبل الميلاد (طبقاً لكربون 14) ، ويؤكد " وندورف " أن الحضارة " الإيبرو- مغربية " إنما قد ظهرت في شمال أفريقيا حوالي 12500 سنة قبل الميلاد ، وقد نزحت من مصر ـ وليس من أوربا ـ وأن أصحابها إنما كانوا يعيشون علي طول نهر النيل، قبل أن تنتقل إلي شمال أفريقيا ، ومن ثم فإن موقعي "وادي حلفا " و "بلانة" إنما هما سابقان زمنياً ، وبالتالي فهل يمثلان السلف المباشر للحضارة
" الإيبرو- مغربية "

ثانياً : الحضارة القفصية

سميت هذه الحضارة "بالقفصية" نسبة إلي المدينة الرومانية القديمة (Capsa) في جنوب تونس ،وهي قفصية الحالية ،في إقليم "قسطيلة" شمالي شط الجريد في تونس . هذا ويمثل " حقل الحلزون" أو " الرماديات "الموقع النموذجي لهذه الحضارة وكان "دي مورجان" أول من حدد سمتها الصناعية [30] ، معتمداً علي المادة الأثرية من موقع "المقطع[31] " وقد قام كل من " فوفري" و"جوبير" بحفائر في هذا الموقع .وقد ظهر أصحاب هذه " الحضارة القفصية "منذ حوالي سبعة آلاف سنة قبل الميلاد ، وهم قوم ذو قوام طويل رشيق من جنس البحر المتوسط وإن لم يخل من الصفات شبه الزنجية ، وقد ازدهرت القفصية في منطقة غير محددة تماماً ، وإن كانت علي وجه اليقين في الجزء الداخلي دون الامتداد في منطقة غير محددة تماماً وإن كانت علي وجه اليقين في الجزء الداخلي دون الامتداد فيما يبدو إلي أقصي الحدود الغربية لشمال أفريقيا ، أو إلي الصحراء الجنوبية حوالي عام 4500 ق.م [32] . هذا وقد أطلق العلماء الفرنسيون علي مواقع الحضارة القفصية " الحلزونيات " أو" الرماديات " (Escargatieres) وهي ركام من الرماد أو الحجارة التي استعملت كأواني للطبخ لنوع من القواطع ، وتبلغ أبعادها أحياناً (200م طولاً × 50 م عرضاً × 5م ارتفاعا) هذا فضلاً عن الأدوات الحجرية التي كان يستخدمها الإنسان . وتدل

الحكم المشترك بين تحوتمس الثالث (1490_ 1436 ق.م) و" حتشبسوت" (1490 - 1468ق.م) أقيمت بوابة من الحجر الجيري كما أضاف " رعمسيس الثاني " (1290- 1224 ق.م) إضافات إلي المعبد . وفي عهد البطالمة أصبحت "كوم أمبو" عاصمة لمقاطعة " أورمبيت" ، وفي عهد بطليموس الخامس أبيفانس (205_ 180ق.م) بدأ في بناء " معبد كوم أمبو الكبير " ولم ينته العمل فيه إلا علي أيام الإمبراطور الروماني " ماكرينوس " (217_ 218م) أي أن بناء المعبد وزخرفته استغرق حوالي أربعة قرون ، أي ضعف المدة التي استغرقها بناء معبد إدفو (237- 57ق.م) وقد كرس للمعبود ين " حور الكبير " و" سوبك" فضلاً عن أنه يمثل نموذجاً رائعاً للعمارة و النحت في العهد البطلمي . نفس المرجع السابق، ص 61- 63. بل وحتى الألوان الزاهية التي زخرفت بها تفاصيله المعمارية ، ومازالت في بعض الحالات رائعة ـ أنظر عن "كوم أمبو " بالتفصيل (محي الدين عبد اللطيف إبراهيم ـ كوم أمبو ـ القاهرة ، 1970) .

[28] ـ أم الخير العضون : العلاقات الحضارية والسياسية بين مصر وشمال أفريقيا منذ أقدم العصور حتى نهاية الألف الثاني قبل الميلاد ، الإسكندرية، 1988 ، ص 38 ـ 41 .

- F. Wendorf , The Prehistory of nubia , I, 1968, P.457.

[29] ـ وولتر إمري : مصر وبلاد النوبة ، ترجمة تحفة حندوسة ، ومراجعة عبد المنعم أبو بكر ، القاهرة ، 1970 ، 57_ 90.

[30] J. DE Morgan, Les Premieres Civilization. Paris, 1951.

[31] ـ المقطع : هو الوقع الأثري النموذجي للحضارة القفصية ، ويقع علي مبعدة 14 كيلاً شمال غرب مدينة " قفصة" ويتكون من ثلاث مرتفعات ، الأولي : شمال غرب قفصة ، والثاني : علي مبعدة كيلو متر شمال شرق قفصة ، والثالث : علي الضفة الغربية لوادي بياش علي مبعدة كيلو مترين جنوب شرق قفصة .

[32] ـ جيهان : ديزانج : تاريخ أفريقيا العام ، تورتنو ـ إيطاليا ، 1985 ، ص 432 .

- G.Camps- fabrer, matiere et Art molulier dans la prehistoire nord – Africaine, Saharienne, mem .
- CRAPE, Paris, 1966, p.206, 243.

الهياكل العظمية التي عثر عليها في الرماديات ، علي أن الإنسان القفصي ـ والذي استمر وجوده حتى " العصر الحجري الحديث[33] " ـ مختلف عن إنسان " مشتا العربي " (حامل الحضارة الإيبرو ـ مغربية) ، وأنه من جنس البحر المتوسط، وأنه كان يحمل ملامح زنجية ، وقد مارس الإنسان القفصي عادة صقل الحجارة في صنع الكرات المثقوبة ـ والتي ربما كان يستخدمها لدق وطحن الحبوب البرية ، وإن لم يثبت عدم معرفته للزراعة ، كما استخدم الفخار ، ومارس عادة قلع الأسنان بطرق تختلف عند الرجل عندها عند المرأة فبعضهم تقلع أسنانه السفلية ، وإن لم يعرف الهدف من هذه العادة حتى الآن [34] . وهناك ما يشير إلي بداية التعبير الفكري عند إنسان الحضارة القفصية ، الأمر الذي سوف تتحدد ملامحه بصورة واضحة في العصر الحجري الحديث ، هذا فضلاً عن ممارسة النقش علي قشور بيض النعام ، ثم صياغتها في حبات لنظم عقود الزينة ، ومن المعروف أن استعمال قشور بيض النعام ، إنما كانت من مظاهر الصناعات الأصلية في الشمال الأفريقي في المرحلة التي أعقبت " الحضارة العاترية[35] ". هذا وقد انتشرت الحضارة القفصية حول موارد المياه ، والأماكن صعبة المنال في تونس وشرق الجزائر ، وخاصة في منطقة " تبسة " حيث وجد بها ما يزيد عن تسعين " رمادية " ولعل من أهم مواقعها : عين مترشام ، وبئر أم علي ، وعين دوكازة ، وبئر حميرة ، وعين عيلان ، وادي مدفون ،وكف ركنية ، وخنقة موحاد ، وفم السلجة ، وفج إبراهيم ، والمقطع ، ورديف . وتشير مواقع سكني القفصيين هذه ـ فيما يري بالوه ـ إلي أن القوم إنما كانوا غزاة ، لا يحسون بأمان فردي أو جماعي ـ ومن هنا كانت سكناهم في مواقع صعبة المنال ، فضلاً عن سيطرتهم علي موارد المياه[36] . علي أن " القفصية الصميمة " لم تمتد في غير الجزء القاري من جنوب تونس ، وتتفق حدودها مع مقاطعة قسطنطينة الجزائرية ، ولا تصل إلي الساحل الشرقي، كما أنها في الغرب لا تتعدى الكتل الجبلية لجبال أطلس ، ولا تتجاوز شمالها ، ثم هي بعد ذلك لا وجود لها في الصحراء أو مقاطعات الجزائر ووهران ، فضلاً عن المغرب الأقصى، ومن ثم فقد ذهب البعض إلي أن القفصية الصميمة ، إنما هي مرحلة حضارية قصيرة الأجل[37]. وأما "القفصية العليا" فقد شملت كل منطقة القفصية الصميمة ، فضلاً عن أنها زحفت إلي الشمال ولكن دون الاتجاه نحو الشرق ، ووصلت إلي الحد الشمالي للهضاب العليا ولكن دون بلوغ البحر ، وأما من جهة الغرب فهي لم تتجاوز خط التصنيف لمدينة الجزائر ، الذي يري فيه "فوفري" الحد الغربي للقفصية العليا ، وعلي أية حال فقد ارتبط انتشار الحضارة القفصية بأماكن وفرة الظران [38]. هذا وقد قسم "بالوه" الصناعة القفصية إلي مرحلتين ، مرحلة "القفصية النموذجية" في أدوات كبيرة من نصال وأزاميل ثم تطورت إلي "القفصية الحديثة" والتي تتميز باتجاه صناعتها إلي الأدوات القزمية واتخاذ الأشكال الهندسية ، وقد أرخ "كربون14 " للمرحلة النموذجية في موقع " المقطع " بفترة تتراوح فيما بين 6650+ 400 سنة قبل الميلاد ، وللفترة الحديثة في موقع " الماء الأبيض " في "تبسة" بالجزائر ، بحوالي 5050 + 200 سنة قبل الميلاد [39]. وقد ظهرت القفصية في" كهف هوافتيح" في الطبقة (E) والتي امتدت زمنياً فيما بين عامي 9000 ، 7000 ق.م ، وفي هذا الكهف تبدأ الحضارة القفصية في الانخفاض في عدد الأزاميل والمحكات في الطبقة " الأيبرو ـ مغربية " ، ثم ظهور اللون الأحمر علي النصال الكبيرة ، ووجود قشور بيض النعام مزخرفة بأشكال هندسية، ورصف

---

[33] -أنظر عن العصر الحجري الحديث في المغرب القديم (محمد بيومي مهران : المغرب القديم، الإسكندرية، 1410 هـ / 1990م ص 33 - 56 .

[34] R.Fauvrey, la Prehistoire de L' Afrique, I,Le maghreb, Paris, 1955,P.127,257.

L. Balout,Prehistoire de L,Afrique du nord, Arts et metiers graphiques,paris,1955,p.18.

[35] H. Alimen, op- cit, p.78.

[36] L.Balout, op-cit, p.399.s

[37] R.Vaufrey , op-cit , p. 195.

[38] - Ibid, p. 241.s

[39] H. Alimen, op- cit, p.82.

عقود من هذه القشور[40] ولعل من الأهمية أن عدداً من الباحثين إنما ينسبون آثار بعض المواقع الأثرية المصرية إلي الصناعات القفصية ـ بما في ذلك المستوي الثالث لقرية السبيل في مجاورات مدينة كوم أمبو ـ بمحافظة أسوان ، وصناعة حلوان القزمية ،وكل ما نسبه "ساند فورد " و" أركل " إلي الصناعة السبيلية الحديثة ، اعتماداً علي أن الصناعة القفصية إنما قد وجدت في الشمال الأفريقي ، وفي سورية وفلسطين ـ أي في غرب مصر وشرقها ـ ومن ثم فمن الصعوبة بمكان ، أن لا توجد هذه الصناعة في مصر ، وأما قلة المواقع القفصية في مصر ، فترجع إلي أن القوم في أرض الكنانة ، إنما كانوا يقتربون من السكني من شواطئ النيل ، وأن الطمي الحديث للنيل ربما قد طمس بقايا الصناعة القفصية في تلك المواقع [41] . ولعل أهم المواقع التي نسبت للحضارة القفصية إنما هي ستة مواقع ، اكتشفها الأمير كمال الدين حسين في منخفض عين دالة ، وفي شمال واحة الفرافرة في الصحراء الغربية وتبعد هذه المواقع الستة عن ينابيع المياه ، بما لا يزيد عن أربع كيلومترات، ومن أدواتها : شظايا ، بعضها طويل ، وآخر قزمي ، فضلاً عن مكاشط ومحكات مقعرة ، ونصال مثلمة ، ومواقد صغيرة مع كسرات من قشور بيض النعام [42] . هذا وقد عثر " جيرودي كوتفيل " علي مواقع الصناعة القفصية في منطقتين ، الواحدة : حول طيبة (الأقصر) وتنتشر حول وادي المدامود[43] بين الأقصر و خزام (علي مبعدة 15 كيلاً شمال الأقصر) فضلاً عن مواقع أخري في مصر العليا (الصعيد) علي مقربة من الصحراء الشرقية وكانت المنطقة الثانية في الفيوم [44] عند قناة هوارة ـ علي مقربة من مدينة غراب ـ وفي عزبة

---

[40] C.B.M.MC Burney, the Haw-fteath (Cyrenatca) and The stone Age of the south – East mediterranean, Cambridge, 1967, p.333.

[41] - R.P.Bovier- Lapierre, L,Egypte Prehistorique, precis de l'Histoire de L'Egypte , LE Caire, 1932 , p.34.

[42] - Kamel EL – Din Hussein et R.P. Bovier- lapierre, Recentes Explorations dans le Desert Lilyque – BIE, 1929 – 1930 , XII , LE Caire, p . 123- 126.

[43] ـ المدامود (مادو = madu) : وتقع علي مبعدة 5 كيلاً شمال الأقصر و هو المدينة الرابعة في الإقليم الرابع (طيبة _ طود _ المدامود) وقد عثر فيها علي معبد تدل بقايا نقوشه علي أنه من عهد " منتوحتب الأول " مؤسس الأسرة الحادية عشرة (2052 -1991 ق. م) ثم اهتم به ملوك أواخر الدولة الوسطى (2052 - 1786 ق. م) ، فضلاً عن إضافات من عهد " سيتي الأول " (1309 - 1291 ق. م) و " رعمسيس الثاني " (1290 - 1224 ق . م)، ثم أعيد بناؤه علي أيام البطالمة (333 - 31ق.م) وأضاف إليه الرومان بعض المباني ، كما فعل " تبيريوس " (14 - 37 م) عندما أقام البوابة المؤدية إلي حرم المعبد (محمد بيومي مهران : المدن الكبري في مصر والشرق الأدني القديم ، الجزء الأول ، مصر ، الإسكندرية ، 1999 ، ص 72 .

[44] ـ الفيوم : تقع علي مبعدة 80 كيلاً من القاهرة ، وفي الصحراوات التي تمتد إلي الغرب من وادي النيل ، في واحة غنية ، تشغل مساحة قدرها 50 كيلاً ، وتسمي اليوم " الفيوم " (بمعني اليم أو البحيرة) ، فضلاً عن بحيرة في أطرافها ، كانت تصل إليها مياه فيضان النيل ، عن طريق لسان من الأرض الخصبة ، عرضه 8 كيلاً وكانت في بادئ أمرها عبارة عن مستنقعات واسعة مملوءة بالمياه ، وفي الأسرة الخامسة (حوالي 2480 - 2340 ق . م) جففت الأجزاء الأكثر قرباً عن طريق عمل جسور ، وشيدت هناك مدينة "شيدت" ـ هي كيمان فارس الحالية حيث عثر علي معبد "سبك " وقد بقيت منه أعمدة كبيرة من الجرانيت الوردي علي هيئة البردي ، كما عثر علي عدد من حمامات العصر اليوناني الروماني ، إلي جانب مجموعة كبيرة من الأواني والمسارج والتماثيل الفخارية والعملات البرونزية ، وأوراق البردي التي تسربت إلي مختلف متاحف العالم ، كما عثرت بعثة إيطالية علي بقايا قرية يونانية رومانية (محمد بيومي مهران : المدن الكبرى في مصر والشرق الأدنى القديم 1/ 112) . بمعني "البحيرة " ثم أطلق عليها في العصور المتأخرة "بايوم" بمعني " اليم أو البحيرة " ثم وردت في القبطية " فيوم " وفي العربية " الفيوم " ، بعد إدخال أداة التعريف . وقد أسماها اليونان "كركوديلو بوليس" بمعني " مدينة التمساح " نسبة إلي معبودها " سبك " ـ أنظر عن المعبود "سبك " (محمد بيومي مهران : الحضارة المصرية القديمة ،2/ 392ـ 394) . كما أطلق عليها "بطليموس الثاني " (284 - 246 ق.م) اسم زوجته " إرسنوي " عندما اختار إقليم الفيوم لتنفيذ مشروعاته في الري، وأقطع الكثير من أرضه لليونانيين الذين أقاموا هناك مدناً كثيرة . هذا وكانت البحيرة التي تشغل منخفض الفيوم تسمي في الدولة القديمة (حوالي 2780 - 2280 ق .م) " تاحنت - إن - مرو" ، وفي العصر الإغريقي " بحيرة موريس " ومازالت بقايا منها تعرف حالياً باسم " بحيرة قارون " . وتعتبر حضارة الفيوم -من أقدم مواقع العصر الحجري الحديث في مصر ـ أنظر عن العصر الحجري الحديث في مصر (محمد بيومي مهران : مصر ، 1/ 134ـ 163 .)

جورج ، وجنوب جبال الروسي وقد وجدت أدوات هذه المواقع علي السطح . ويذهب الآثاري " جيرودي كوتفيل" إلي أن هذه الصناعة القفصية الوافدة متقنة الصنع ومتوفقة علي السبيلية سابقتها ، ومن ثم فهو يستبعد احتمال أن تكون الحضارة القفصية قد تطورت من الصناعة السبيلية ، وإلي هذا القول يذهب " أدموند فينيار" أيضاً ، أضف إلي ذلك أن بعضاً من الباحثين إنما ينسبون آثاراً لهذه الحضارة "المستيرو- قفصية " في شمال مدينة حلوان بين خط السكة الحديد وعزبة الوالدة [45] ويعتقد " جيرودي كوتفيل " أن مصر شاركت في تطور الصناعة الحجرية في شمال أفريقيا فضلاً عن احتمال تطور صناعة قفصية في مصر مشابهة " للإبيرو- مغربية" وذلك لوجود الآلات الميكروليثية في موقع حلوان ، عند فتحة وادي حوف، وفي كوم أمبو ، بمحافظة أسوان [46]. وعلي أية حال فرغم إمكانية وصول مؤثرات قفصية إلي مصر في هذه الفترة من خواتيم العصر الحجري القديم الأعلى فلعل من الأفضل التحفظ بشأن هذه الآراء - وخاصة تلك التي تري في كل صناعة وجدت في مصر في أعقاب الموستيرية إنما هي صناعة قفصية أو قفصية متطورة [47] إذ أن كل ما عثر عليه إنما هو "لقية" سطحية لبعض القطع والآلات الحجرية زعم مكتشفوها أنها قفضية - كما في نواحي أسوان والمدامود وحلوان في الوادي ، وعين دالة في الصحراء الغربية ومنخفض الخارجة [48]

ولعل من الأهمية بمكان الإشارة إلي موقع " نفاية السكر " علي مقربة من مصنع السكر في نجع حمادي بمحافظة قنا - وعلي مقربة من المدينة الرومانية " ديوسبوليس بارفا" [49] حيث كشف

إن لم تكن أقدمها جميعاً (حوالي عام 5000 ق.م) حيث كشف عن قريتين تدلان علي الاستقرار ، ومرحلة الزراعة ، وأما موقع "حضارة الفيوم (ب) " فيرجع إلي العصر الحجري النحاسي (فيما بين 4500 ، 4200 ق . م) . - أنظر عن العصر الحجري النحاسي (محمد بيومي مهران : مصر ، 1/ 164 - 176 ، الإسكندرية ، 1982 م) . ولعل أهم المشروعات الزراعية في الفيوم ، إنما هو " سد الفيوم " الذي أقامه" أمنمحات الثالث " (1843 - 1797 ق. م) رغم أن هناك ما يشير إلي أن المشروع إنما قد بدأ منذ أيام " سنوسرت الثاني " (1897 - 1877 ق.م) - من ملوك الأسرة الثانية عشرة (1991 - 1786 ق.م) هذا فضلاً عن أن" سد الفيوم" هذا ، إنما كان ثاني سد أقامه المصريون القدامي ، فلقد سبقه إلي الوجود سد آخر أقيم علي "مدخل وادي جروي " - كان عرض وادي جروي 240 قدماً ، وعمقه فيما بين 40 ، 50 قدماً ، وسمك السد 143 قدماً ويتكون جزؤه السفلي من أحجار صغيرة مختلطة بالطين تعلوها كتل متراصة كأنها درجات سلم ضخم وهو أقدم سد في العالم ويقدر عمره بنحو خمسة آلاف عام أي أقيم في أوائل عهد الدولة القديمة - وقد تم التأريخ له علي ضوء الآنية الفخارية التي خلفها العمال هناك ، وعلي طريقة بناء واجهته التي تشبه إلي حد كبير طريقة بناء أهرامات الأسرتين الثالثة والرابعة (محمد بيومي مهران : مصر 2/ 622 - 626 ، المدن الكبرى 1 / 110 - 114) . علي مبعدة 13 كيلاً جنوب شرق حلوان - وذلك ليمد عمال محاجر المرمر في تلك المنطقة بالمياه - جيمس بيكي : الآثار المصرية في وادي النيل ،3/ 45 - 46 ،(مترجم) .

A.H.Gardiner and I.H.Bell , the name of the late moeris , JEA, 29, 1943, P.37-50 .

A.H.Gardiner , Onom, II, p.115- 117.

- Strabo,XVII, 809F .

- Herodotus, II, 129,148-149.

- H. Gauthier, Dictionaire des noms Geographiques contenus dans les Textes hieroglyphiques, III, P.72, V, P. 23.

- H. Kees , Ancient Egypt , London , 1961, p. 219 – 230 .

- أنظر : محمد بيومي مهران : المدن الكبري ،1/ 110 - 115 .

[45]-A.J.Arkell and K.S. Sandford, Paleolithic man and the Valley in upper and middle Egypt, p. 116-118.

[46]G. Cotteville , L'Egypte avant L' Histore, BIFAO, 33 , 1933, P.40.

[47]Ibid, p.28.

[48]G. Caton –Thompson, man, 32, 1932,p.131-133.

[49] -ديوسبوليس بارفا: ومكانها الآن بلدة " هو " علي مبعدة 5 كيلاً ، جنوب غرب نجع حمادي بمحافظة قنا - وربما كانت " هو " هذه تصحيفاً للإسم المصري القديم " حو" أو " حات " والتي كان اسمها الكامل " حوت سخم نوت " عاصمة الإقليم السابع من أقاليم الصعيد ويعني " حوت سخم " " قصر الصاجات " كما سميت " هو" كذلك " كنمت " بمعني الكروم ، وهو اسم "واحة الخارجة". - أنظر عن واحة الخارجة : محمد بيومي مهران : المدن الكبرى ، 1/ 207 - 208 . المعروفة بخمرها ، وكانت تتبع الإقليم السابع هذه من الناحية الإدارية . هذا وقد كشف " أدموند فينيار " علي مقربة من مصنع السكر الحالي بنجع حمادي ، قريباً من مدينة

"أدموند فينيار" عن مجموعة من الآلات الحجرية تتميز بوجود مجموعة كبيرة من الأزاميل فضلاً عن بعض المحكات ، وقطع أخري مشذبة ذات نمط خاص ـ ونظراً لأن الإزميل هو "آلة الصناعة الأوريناسية " المميزة إلي جانب اعتبارات تقنية أخري ـ فقد نسب "أدموند فينيار " هذا الموقع إلي " الأوريناسية الأوربية " وأن سكان هذا الموقع إنما جاءوا إلي مصر من سورية أومن تونس[50] .
وقد أثار رأي " فينيار " هذا جدلاً بين العلماء فذهب الآثاري الألماني "هرمان يونكر" (1885ـ 1962 م) إلي أن هناك شبهاً بين "موقع نجع حمادى" هذا وبين المستوي الثاني للسبيلية ، وأنهما ربما كانا متعاصرين ، ويصلان إلي بداية القفصية، بينما المستوي الثالث ـ والأكثر تطوراً ـ إن هو إلا "القفصية " نفسها [51] وأما "دي مورجان" فقد عثر في مواقع سطحية تنتمي إلي هذه المرحلة علي فؤوس صنعت بنفس التقنية التي صنعت بها فؤوس نجع حمادي[52] .ويذهب الدكتور سليمان حزين إلي أن الأزاميل لا تعتبر دليلاً مميزاً للعصر "الباليوليتي الأعلى" فقد وجدت في فلسطين في زمن " الأشولية العليا" كما عثر في " أرمنت" علي أزاميل بعضها يشبه تلك التي عثر عليها الآثاري الفرنسي "أدموند فينيار " في نجع حمادي ثم يخلص بعد عدة مقارنات بين بعض الآلات الحجرية في الموقعين ـ إلي أن الواحد منها إنما يعاصر الآخر، وأنهما ينتميان إلي " عصر الحجر والنحاس" [53] . علي أن هناك افتراضاً عكسياً يذهب أصحابه إلي أن "السبيلية بمصر العليا" إنما هي المهد الذي ولدت فيه " الحضارة القفصية " وكل صناعة ميكروليثية أخري غير أن "بالو" إنما يذهب إلي أن تقويم السبيلية لا يعتمد علي تقويم الطبقات ، وأن انقطاع الصلة بين "إنسان نياندرتال" (حامل الصناعة الموستيرية) و " إنسان الصناعة القفصية " لا يتفق مع وجود صلة تطور ومن ثم فإن البعض إنما يري أن السبيلية والقفصية حضارتان ميكروليتان متشابهتان إلي حد كبير ـ من حيث التقنية والشكل وخاصة في المرحلة الأخيرة من تطورهما، غير أن هذا الاتجاه لم يعد أن يكون مجرد فرض، وليس نظرية علمية، فضلاً عن أن يكون حقيقة تاريخية[54] .

" ديوسبوليس بارفا " عن مجموعة من الأدوات الحجرية التي تنتمي إلي مرحلة العصر الحجري القديم الأعلي ، رأي " هرمان يونكر " أن هناك شبهاً بينها وبين المستوي الثاني للحضارة السبيلية في مجاورات كوم أمبو ـ وأنهما ربما كانا متعاصرتين . محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص 52 .

– W.M.F.Petrie, Diospolis Parva, London, 1901

- [50] E.Vignard,une station Auurignacienne Anag-Hammadi (Haute Egypte) , station du champ de Bagasse , BIFAO, XVIII, 1921, P. 1-20.

[51] H.Junker, Bericht uler die von der Akademie de Wissenschaften in wien nach dem westdelta Entsendete Expedition, wien, 1928, p. 14.

[52] J.DE.morgan, La Prehistoire Orientale, II,L,Egypte et L,Afrique du nord , Paris, 1926, fig. 86,88,p.31,82.

[53] S.A.Huzayyin , The Place of Egypt in prehistory Acorrelated studyof climates and cultures of The old world , Mie, 43, 1941, p. 292.

- R. mond and O.H.myers. cemeteries of Armant, London, 1937 , p.198-199.

[54] ـ أم الخير العقون : المرجع السابق ، ص 52 .

- L.Balout, op- cit , p. 416 .